العراق في عهد الايلخانيين :

عاش المغول في الهضبة المعروفة باسم هضبة منغوليا شمال صحراء جوبي الممتدة في اواسط جنوبي سبيريا وشمال التبت وغربي منشوريا وشرقي تركستان ، بين جبال التاي غربا وجبال جنجان شرقاً . وهي قبائل غير متحضرة ، كانت كل قبيلة فيها تكون وحدة متماسكة من ناحية الجنس واللغة ، يرأسها رئيس يحمل لقب نويان تطيعه وتأتمر بأمره ، وكانت حياتهم بسيطة ويقضون معظم اوقاتهم في المنازعات القبلية . وقد مارس المغول مهنة الرعي والصيد فكانوا ينتقلون في ارجاء الهضبة سعيا وراء موطن المياه والكلأ ، فيهبطون في الشتاء الى سهولها ومناطقها الدافئة حيث تتوفر الظروف المناسبة للرعي ، وفي الصيف يستقرون في المرتفعات واعالي الجبال مدة شهرين او اكثر حيث البرودة والمياه . ولابد ان نعرف ان الظروف الجغرافية في هضبة منغوليا قد جعلت منه اقليماً فقيراً ، تنعدم فيه الزراعة لذلك استدعت حياتهم الصعبة ضرورة الاغارة على الممالك المتمدنة في الصين وما وراء النهر وبلاد فارس . وبدأ تهديدهم للأقاليم المحيطة بالعراق من الشرق والشمال سنة ٦١٨هـ /١٢٢م ، لاسيما دولة خوارزم في بلاد فارس عام١٢٣٠م ،ولم يهتم الخلفاء العباسيون المتأخرون جدياً بالخطر المغولي.

في عام ١٢٥٨م اشتبكت القوات العباسية بقيادة الدويدار الصغير مجاهد الدين أيبك في معركة الدجيل بالقوات المغولية بقيادة هولاكو وتحطم الجيش العباسي ودخل المغول بغداد في صفر فتكوا بأهلها وقتل عدد كبير من أهل بغداد من ضمنهم الخليفة العباسي المستعصم بالله . فشلت الموصل في مقاومة المغول بعد حصار يزيد على السنة واحتلها المغول عام ١٢٦١م .

٣-الادارة الايلخانية في العراق :

كانت ادارة الامبراطورية الايلخانية لا مركزية ، ويتمتع حاكم العراق بدرجة من الاستقلال في ادارة شؤونه مقابل تقديمه المال اللازم لخزينة الامبراطور وارسال القوات العسكرية المناسبة له في حالات الحرب. ولكن هذه اللامركزية لم تكن كاملة لان الحاكم الايلخان كان يزور العراق ويقضي الشتاء في ربوعه في بعض الاحيان. كما كان يرسل مشرفا يستقصي شؤونه عن كثب و يرفع اليه تقريرا عنه. ومن اهم سمات حكومة العراق في هذا العهد عدم الاستقرار و الفساد. وقد بادرت الدولة الايلخانية الى تقسيم العراق الى ثلاثة اقسام هي: اقليم الجبال ، وفيه شهرزور، واقليم الجزيرة الفراتية، وفيه ماردين والموصل وسنجار والعمادية

واربيل، واقليم العراق وعاصمته بغداد، وهو القسم الاهم، ويمتد ما بين الزاب الاعلى الى عبادان طولا، وبين القادسية وحلوان عرضا. وقسم الاقليم الاخير الى ست مناطق رئيسة اطلق عليها اسم اعمال وهي: بغداد، الاعمال الشرقية ، الاعمال الفراتية، الاعمال الحلية والكوفية، والاعمال الواسطية والبصرية، ثم اضيفت اليها بعد سقوط امارة الموصل ١٢٦٠م الموصل واربيل . واصبح على راس كل منها مسؤول يطلق عليه لقب صدر، وهي وظيفة عرفت في اواخر العصر العباسي. وقد ابقى هولاكو على الوضع الاداري كما كان عليه، وحافظ الى حد ما على التقسمات الادارية القديمة، ولتسهيل مهمته في ادارة العراق، فقد عهد بعد الاحتلال الى بعض الاداريين من عهد الخليفة العباسي الاخير ان يضعوا اسس تنظيم ادارة العراق، وتألفت الادارة المؤقتة من علي بهادر الخرساني شحنة، ومؤيد الدين بن العلقمي وزيرا ، وفخر الدين الدامغاني صاحبا للديوان ونجم الدين احمد بن عمران صدرا للأعمال الشرقية، وعبد المنعم البندنيجي قاضيا، وتاج الدين على بن الدوامي صدرا للأعمال الفراتية، فكانوا جميعا من العراق باستثناء الاول. وبذلك اخذت الطمأنينة تعود شيئا فشيئا الى البلاد، واستطاع من بقي من الناس ان يفتشوا عن اموالهم واعمالهم، وشرع الموظفون ورجال الادارة الجدد بترميم ما يمكن ترميمه من المساجد والمدارس والربط والقصور والدور والجسور والشوارع والاسواق. وبذلك نجد ان سلطة الاحتلال لم تبدل نظام الحكم، بل استبقت الحالة على ما هي عليه، وتم الاحتفاظ بالترتيبات الادارية الموجودة من العهد السابق، الا انها جعلت السلطة مرتبطة دائما بأمراء المغول، يرجع اليهم الوزير في كافة الامور الذين يتصرفون بالبلاد كما يشاؤون. لقد جاءت التبديلات الادارية في العصر الايلخاني لتتلاءم في الواقع مع تطور الاوضاع العامة، وقد تحولت البلاد الى التبعية لدولة اجنبية كبيرة، فأدمجت الوحدات المعروفة في العهد العباسي الاخير في وحدات اكبر وصولا الى تحقيق سيطرة قوية. والغيت الدواوين المركزية وابقى على الديوان الزمام الذي كان ديوان الدواوين في اواخر العصر العباسي وديوان الوزير. ولكن سرعان ما ادمجا بديوان واحد اطلق عليه اسم الديوان يرأسه صاحب الديوان الذي اصبح يحتل مكانة عليا في الادارة المدنية، حيث يشرف على شؤون البلاد المالية، ويتمتع بسلطة تعيين كبار الموظفين كقاضي القضاة والصدور والنظار. ويرتبط بصاحب الديوان (كاتب السلسلة)، ويتراس كتاب العراق، ولهذا يطلق عليه احيانا اسم كاتب العراق. ومن الوظائف المدنية المهمة الاخرى التي استمرت في العهد الايلخاني (خازن الديوان) و(صدر وقوف) و(الناظر) و(المشرف). والناظر

وضيفة مالية بالدرجة الاولى، لكن بسبب فقدان التحديد في الادارة، فانه كان يقوم بالأشراف على امور ادارية احيانا ،بل ويقوم بواجبات الصدرنفسها .

٤-الاوضاع العامة في العراق في العهد الايلخاني:

١- تدهور الاوضاع العامة في بغداد في اعقاب الاحتلال المغولي له ، كما شهدت مدنه تدهوراً كبيراً من جراء اعمال التدمير التي رافق احتلالها ، والاهمال الذي عانت من قبل ادارة الاحتلال .

٢- تدهور اوضاع التجارة في العراق خلال هذا العهد ، ومما زاد تفاقم الوضع ثقل الضرائب ، فضلا عن الحرائق التي كانت تصيب الاسواق .

٣- قلة الاهتمام الذي وجهته الدولة الى حالة العراق الاقتصادية .

٤- اضطراب الحياة الاجتماعية في بغداد ، اذ اصبح عامة الشعب يعانون من اسوء حالات الفقر والنقص في الاموال ، ويعود ذلك الى الدمار الذي اصاب المدينة ، فضلا عن الضرائب الباهظة المفروضة من السلطة المحتلة .

٥- سوء الادارة وفسادها واستغلال كبارالاداريين لمناصبهم لجمع الاموال في شتى الوسائل .

٦- انعدام الامن وانتشار العصابات والمجرمين .

٧- انتشارالاوبئة في العراق بشكل متكرر .

٨- كان لاحتلال المغول للعراق اثر سلبي على الحركة الثقافية نظرا لما شهده هجوم المغول على بغداد من حرق وتدميرللمدارس والمكتبات ومقتل العدد الكبير من علمائها .